أَلتَّسامُحُ في مَنْظُورِالقُرْآنِ الكَرِيمِ

صُوَرُهُ وَمَوَانِعُهُ

م.م أحمد حميد عبود الدليمي

كليةالشريعة-جامعةأردهان-تركيا

فحوى البحث

مسألة التسامح مبدأ من مباديء مكارم الأخلاق التي دعا اليها الاسلام الحنيف بدلالة القرآن الكريم. وقد بسط السيد الباحث الموضوع بشكل موسّع تجاوز دعوة القرآن الكريم الى السنة النبوية العطرة ووقائع التاريخ وقد أسهب الحديث في موضوعة فتح مكة مما اضطرنا الى حذفها تبعا لسياسة المجلة في التخصص بالمباحث القرآنية حصرياً، وكذلك قمنا بحذف قائمة المصادر اقتصاداً في عدد الصفحات فمعذرة للسيد الباحث عن ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله. اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك.

إنّ رسالة الإسلام التي جاء بها المصطفى ﷺ تحمل في طيّاتها معاني سامية ومبادئ رفيعة، ومن هذه المعاني والمبادئ التي أرشدنا إليها المصطفى ﷺ (التسامح)، فالإسلام دين عالمي يخاطب الناس كافة بجميع أعراقهم وأطيافهم في كلّ أرجاء الأرض، ويتميّز بصفات وخصائص تتناسب مع أحوال الناس، وظروفهم في سائر البلاد والأصقاع، فجاءت أحكامه وتشريعاته في إطار من التسامح، فلا تخلو فريضة من الفرائض، ولا شعيرة من الشعائر إلا وقد أفاض عليها الله (جل جلاله) من اليسر ما يجعل الإنسان قادراً على تطبيقها. إن حياة الأنبياء والمرسلين تتسم بالتسامح مع أُممهم، ولقد تجسدت هذه المبادئ والقيم الكريمة في سُنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بقوله: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُوسِرًا، وَكَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُعْسِرِ، فَقَالَ اللهُ تعالى نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ»[١]، وقال العلامة المباركفوري[٢] في «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»: (إِلَّا أَنه كَانَ رَجُلًا مُوسِرًا)[٣] أي غَنِيًّا ذَا مَالٍ (يُخَالِطُ

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر ٣/ ١٩٥، ومسند الإمام أحمد ٢٨/ ٣١٣.

(٢) عبد الرحمن المباركفوري (٠٠٠ –١٣٥٣هـ) (٠٠٠ – ١٩٣٤ م). عالم مشارك في انواع من العلوم. ولد في بلدة مباركفور من اعمال اعظمكره، ونشأ بها، وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه واصول الفقه على علماء كثيرين.
من مؤلفاته: السنن في مجلدين. أنظر معجم المؤلفين، ج٥، ص ١٦٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم

النَّاسَ) أَيْ يُعَامِلُ النَّاسَ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ (أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُعْسِرِ) أَيْ الْفَقِيرِ أَيْ يَتَسَامَحُوا فِي الِاقْتِضَاءِ وَالِاسْتِيفَاءِ وَقَبُولِ مَا فِيهِ نَقْصٌ يَسِيرٌ (بِذَلِكَ) أَي بِالتَّجَاوُزِ (تَجَاوَزُوا عَنْهُ) أَي تَسَامَحُوا عَنْهُ[٤]. إنطلاقاً من كلام رسول الله ﷺ وبعد استخارة رب العزهعزوجلتكونت لديَ الرغبة في كتابة هذا البحثلِما للتسامح من قيمةٍوضرورةٍ أصبحت في زماننا هذا لابد منها في وقتٍ تكالب الأعداء على بلدنا العراق من أجل زرع الفتنة الطائفية فيه، وتغيير سمات هذا الوطن الذي عاش فيه منذ آلالاف السنين الانبياء والصحابة وآل بيت النبي ﷺ والتابعون والاولياء والصالحون الذين كانت سماتهم جميعاً المحبة والتسامح إذ لابد أن أكتب في هذا الموضوع بسبب كثرة الفتن، والمحن، وأصبح أعداء الإسلام والمسلمين يُخططون ليشتغل المُسلمون فيما بينهم بالعداوة، والبغضاء، والحقد، والتناحر، في كل مفاصل الحياة، وأصبح الكثير منا لا يعرف التسامح في حياته، فالإسلام يدعو إلى التسامح في العقيدة والشريعة والأخلاق، فالتسامح أساس كل شئ في ديننا الحنيف مع الحفاظ على ثوابت العقيدة الأساسية وعدم التخلي عنها.

المبحث الأول:

المطلب الأول: مفهوم التسامح لغة واصطلاحاً:

أولا: مفهوم التسامح في اللغة:

السماحة والسموحة: هي التي لا عقدة فيها، وتسميح الرمح: تثقيفه أي عمله رمحاً قوياً حاداً، والمساميح جمع مسماح، وهو الكثير السماحة[٥] وفي الحديث: (أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة)[٦]، والمعروف في هذا الفعل (سمح) أنه ككرم، معناه: صار من أهل السماحة، ورجل سمح، وامرأة سمحة من رجال، ونساء سماحاً، وسمح لي فلان: أعطاني

المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ): دار الكتب العلمية -بيروت، عدد الأجزاء: ١٠، ٤/ ٤٤٥.

(٤) انظر تحفة ألاحوذي بشرح الترمذي، ٤/ ٤٤٥.

(٥) لسان العرب لمحمد بن منظور (ت ٧١١هـ) ط١، ٢/ ٤٨٩، دار صادر -بيروت.

(٦) اخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب الدين يسر١/ ٢٢ برقم: ٣٨.

وسمح لي بذلك، والمسامحة: المساهلة وفي الحديث: (السماح رباح)[٧] أي المساهلة في الأشياء تريح صاحبها، وسئل ابن عباس عن رجل شرب لبناً مخضاً أيتوضأ؟. قال: (اسمح يسمح لك)[٨]، ومعناه سهل يسهل عليك ولك، وقولهم: الحنيفة السمحة ليس فيها ضيق ولا شدة، وسمّح بالضم: جاد بما لديه، وأسمحت الدابة بعد صعوبة إذا ذل، وسمحت الناقة إذا إنقادت فأسرعت[٩]، والتسميح السير السهل[١٠].

والمسامحة في الطعان الضراب والعدد إذا كانت على مساهلة[١١]، والمسامحة المساهلة[١٢] [١٣].

والتسامح: الحط والإغماض[١٤]، وتسامح وتسمح: الإتساع في نحو الإعطاء[١٥] [١٦].

ثانياً: مفهوم التسامح في الإصطلاح:

عديدة هي المفردات والمصطلحات المتداولة اليوم والتي تحتاج إلى تحديد دقيق لمعانيها ومداليلها وذلك لأن استخدام هذا المصطلح دون ضبط المعنى الحقيقي لها يساهم في تشويه هذا المصطلح على

(٧) مسند الشهاب لمحمد القضاعي ط٢ ١/ ٤٨، مؤسسة الرسالة –بيروت، ١٩٨٦م.
(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر لمحمد بن الأثير(ت ٦٠٦هـ) ٢/ ٩٩، تحقيق: طاهر الزواوي، ومحمود الطناجي نشر، المكتبة الإسلامية.
(٩) لسان العرب، ٢/ ٤٨٩.
(١٠) القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٨هـ) ١/ ٣٨٧، دار الجيل، بيروت ١٩٩٠م.
(١١) كتاب العين لخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣/ ١٥٥ تحقيق: مهدي المحروس، دار مكتبة الهلال –بيروت.
(١٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ) المكتبة العلمية –بيروت ص ٢٨٨.
(١٣) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ) تحقيق: محمود حاضر، مكتبة لبنان –بيروت١٩٩٥م، ص ٣٢٦.
(١٤) المغرب في ترتيب المعرب لناصر الدين بن عبد السيد، ط١، ٢/ ١١٤، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد –حلب، ١٩٧٩م.
(١٥) التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف) لمحمد المناوي، ط١، تحقيق: محمد رضوان الداية، دارالفكر، بيروت، ص١٧٤، دون سنة نشر.
(١٦) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد الزبيدي، ط١، ٣/ ١٥٠، مكتبة الحياة، لبنان، ١٣٠٦هـ.

مستوى المضمون، كما أنه يجعله عرضة للتوظيف المتعسف، لذلك فإن تحديد معنى المصطلحات والمفردات المتداولة اليوم يساهم في خلق الوعي الإجتماعي السليم، ولذلك فإن إصرار مختلف المواقع على استخدام هذا المصطلح دليل على غياب مضمونه عن واقع العالمين العربي والإسلامي، ولقد إنطلق العلماء في تعريف التسامح منطلقات شتى تبعاً لمذاهبهم الفكرية على النحو التالي:

١. قال صاحب كتاب (تهافت التهافت):

(هو إحترام الحق في الإختلاف، وأن يجهد النفس في طلب الحجج والخصومة، كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه، وهو أيضاً (موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الآخر، سواء كانت موافقة أومخالفة لمواقفنا، أي هو احترام الموقف المخالف، سواء كان ذلك الأخر مشاركاً لنا في الملة أو غير مشارك)[١٧].

٢. يقول الجرجاني: ((التسامح: هو استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقته معنوية ويعني: التساهل في العبارة أي أداء اللفظ بحيث لا يدل على المراد دلالة صريحة))[١٨].

من خلال التعريفات السابقة يتضح أن فكرة التسامح ذات بعد خلقي وسياسي وفكري، وكلها تدعوا إلى السخاء والجود، وهو موقف ضد كل تعصب أو انغلاق في العلوم والأديان والسياسة والأخلاق[١٩].

٣. وقد نقل الجابري في كتابه (قضايا في الفكر المعاصر) عدة معان للتسامح منها:

أ. التسامح هو التساهل مع الاخرين، أو الترخيص له بكذا أو كذا: الشيء الذي يجعل المسامح في وضعية أعلى

(١٧) تهافت التهافت لمحمد بن أحمد بن رشد، ط٣، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٦٩.

(١٨) التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٧٩.

(١٩) الحرية الدينية حق من حقوق الإنسان د. محمد عطا، المجلة العربية لحقوق الإنسان، العدد١، ص ٤٤، ١٩٦٤م.

من المسامح له، ويعني الارتفاع بهذه العلاقة إلى مستوى الإيثار[٢٠].

ب. التسامح يعني التخفيف إلى أقصى حد ممكن من الهيمنة المقصودة أو غير المقصودة التي يمارسها مذهب الأغلبية داخل الدين الواحد، ودين الأكثرية داخل المجتمع الواحد[٢١].

ت. رأي منظمة حقوق الإنسان في مصر: التسامح: حق العيش على نحومختلف سواء بممارسة حق التعبيرعن الرأي، أو حق الاعتقاد، أو حق التنظيم، أو حق المشاركة السياسية في تولي المناصب العليا[٢٢]، وهذا الرأي يؤكد حق كل فرد في أن لا يكون ثمة قيد على حريته إذا احترم حريات وحقوق الآخرين ولم يتجاوزها، والرأي الذي أميل إليه هو الرأي الثالث، فقرة: ((ج)) الذي عليه العلماء لأمور:

١. أنه يتناسب مع هذا العصر الذي تدعو فيه جميع الديانات إلى أن يكون عصر تسامحو وئام.

٢. لأنه المحرك الفاعل في إرساء نمط المجتمع الدولي في عالمنا اليوم.

٣. لأنه يظهر حاجة المجتمعات الى عدم العنف والإرهاب والغلو بل إلى سلوك السبيل الواضحة للتقارب والتعايش السلمي بين الأمم والثقافات، ولأن التسامح من أهم القيم التي يتمحور حولها التنظيم الإجتماعي والسياسي الحديث[٢٣] وهو الوسطالذي يمكننا من إفشاء الفكر الاسلامي ونشره بين عامه الأمم والشعوب إذ هو الدين الذي يرضي العقل والقلب والوجدان مما يُسرع في جعل الكرة الأضيه قاطبه قريه إسلامية.

٤. لأنه يدعو إلى التصالح ووضع حد للنزاع القائم بين المجتمعات المختلفة.

(٢٠) قضايا في الفكر المعاصر لمحمد عابد الجابري ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص٣١.

(٢١) قضايا في الفكر، ص ٢٩.

(٢٢) قضايا في الفكر، ص ١٨.

(٢٣) دراسات في التسامح لناجي البكوش، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، ١٩٩٥م، ص ١٢.

المطلب الثاني: ويشتمل على:

أولاً: التسامح والأخلاق من مكارم الاسلام:

إن الإسلام دين عالمي يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهي عن الظلم وتُرسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، فالجميع ينحدرون من ((نفس واحدة))[٢٤]، وعالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى نظراً لأن التقارب بين الثقافات، والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والإتصالات، والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة.

إن الإسلام دين يسعى من خلال مبادئه وتعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح إزاء كل الأديان والثقافات. فقد جعل الله الناس جميعاً خلفاء في الأرض التي تعيش فوقها، وجعلهم شركاء في المسؤولية عنها، مسؤولين عن عمارتها مادياً ومعنوياً كما يقول القرآن الكريم: قوله تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[سورة هود: ٦١]، أي طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها، ومن أجل ذلك ميز الله الإنسان بالعقل وسلحه بالعلم حتى يكون قادراً على أداء مهمته وتحمل مسؤولياته في هذه الحياة، ولهذا يوجه القرآن الكريم خطابه إلى العقل الإنساني الذي بعد أجل نعمة أنعم الله بها على الإنسان، ومن هنا فإن الإنسان لابد أن يستخدم عقله الاستخدام الأمثل، وفي الوقت نفسه يطلب القرآن من الإنسان أن يمارس حريته التي منحها الله له، والتي هي شرط ضروري لتحمل المسؤولية، فالله سبحانه لا يرضى لعباده الطاعة الآلية التي تجعل الإنسان عاجزاً عن العمل الحر المسؤول، فعلى الإنسان إذن أن يحرص على

(٢٤) كما جاء في القرآن الكريم: قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[سورة النساء: ١].

حريته وألا يبددها فيما يعود عليه وعلى الآخرين بالضرر، ومن شأن الممارسة المسؤولة للحرية أن تجعل المرء على وعي بضرورة إتاحة الفرصة أمام الآخرين لممارسة حريتهم أيضاً، لأن لهم الحق نفسه الذي طلبه الإنسان لنفسه، وهذا يعني أن العلاقة الإنسانية بين أفراد البشر هي علاقة موجودات حرة يتنازل كل منهم عن قدر من حريته في سبيل قيام مجتمع إنساني يحقق الخير للجميع، وهذا يعني بعبارة أخرى أن هذا المجتمع الإنساني المنشود لن يتحقق على النحو الصحيح إلا إذا ساد التسامح بين أفراده بمعنى أن يحب كل فرد فيه للآخرين ما يحب لنفسه.

ثانياً: التسامح والتعددية:

ومن هنا لا يجوز أن ينظر إلى اختلاف الجماعات البشرية في أعراقها وألوانها ومعتقداتها ولغاتها على أنها تمثل حائلاً يُعوق التقارب والتسامح والتعايش السلمي بين الشعوب، فقد خلق الله الناس مختلفين قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة هود: ١١٨ -١١٩]، ولكن هذا الاختلاف بين الناس في أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم لا ينبغي أن يكون منطلقاً أو مبرراً للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب، بل الأحرى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعاً إلى التعارف، والتعاون، والتآلف بين الناس من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل للمنافع، وتعاون على تحصيل المعايش، وإثراء للحياة، والنهوض بها، ومن هنا يقول القرآن الكريم: قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[سورة الحجرات: ١٣].

والتعارف هو الخطوة الأولى نحو التآلف، والتعاون في جميع المجالات، ولا سيما في إشاعة أجواء الحرية الفكرية التي دعا إليها الإسلام، فهو في جميع الأوامر والنواهي إنما يدعو إلى فتح مجالات حرية الإختيار ولاسيما في الإجابة على المسائل الكبرى في هذا الكون المتعلقة بالخالق ووجوده ووحدانيته فيما يسمى

بالإلهيات، وكذلك الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام وسائر إخوانه من الأنبياء والرسل، وكذلك مبادئ الإيمان بالله واليوم الآخر، والقدر فيما يسمى بالسمعيات.

وحتى يمكن الوصول إلى هذا الهدف كان لابد من إيجاد وسيلة للتفاهم وتبادل الأفكار بين الناس، فكانت اللغة التي يتخاطب بها الناس ويعبرون بها عن أغراضهم ومشاعرهم وأفكارهم، ويعد التفاهم عن طريق اللغة أسلوباً راقياً للتواصل بين البشر، وتبادل الأفكار الذي يؤدي إلى تبادل المنافع فيما بينهم.

ولا يجوز أن يؤدي الخلاف في الرأي، أو في الفكر، أو في الإعتقاد إلى إفساد ما بين الناس من علاقات، وهذا ما يعبر عنه القول المشهور: ((الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية))[٢٥].

ومن هنا فإنه لا ينبغي أن يضيق المرء صدراً بالآراء المخالفة لرأيه، ليس فقط في مجال الأمور اليومية العادية، بل حتى في أمور الدين والفكر، والسياسة، فلا يجوز لطرف من الأطراف أن يدعي لنفسه أنه وحده الذي يملك الحق المطلق، وأن غيره يقف في الطرف المقابل الذي يتساوي مع الباطل، وقد عبر الإمام الشافعي رضي الله عنه عن هذا المعنى في تسامحٍ رائع قائلاً: ((رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب))[٢٦] هذا في

(٢٥) نسبه محمد حسن عبد الغفار للامام الشافعي رضي الله عنه، وذلك في كتابه (شرح لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد) دروس صوتية مفرغة، ولا تصح هذه النسبة اذ لا يوجد كتاب معتمد ينسبها اليه. ونسبه علي بن نايف الشحود لأحمد شوقي، وذلك في كتاب (الخلاصة في بيان اختلاف الفقهاء) ص/ ٥٧ (الكتاب مرقم اليا)، وايضا في كتابه (المهذب في الاداب الاسلامية) ص/ ٦٤٩ –ط١ دار المعمور –بهانج – ماليزيا ١٤٣٠، وايضا في كتابه (الخلاصة في اصول الحوار وادب الخلاف) ص ٢٣ غير موافق للمطبوع، ونسبه لاحمد شوقي ايضا الامام محمد البشير الابراهيمي في (اثار الامام محمد البشير الابراهيمي) جمعه ولده محمد بن بشير، ط ١ –دار الغرب الاسلامي–١٩٩٧.

(٢٦) نسب هذا القول للامام الشافعي رضي الله عنه، وممن نسبه: الشيخ ابو الاشبال حسن الزهيري ال مندوه المنصوري المصري، وذلك في شرح الابانة من اصول الدينة، مفرغ من دروس صوتية، والشيخ اسامة علي سليمان في تفسير القران الكريم، مفرغ من دروس صوتية، والشيخ خالد

مجتمع المسلمين في ضوابط خاصه أفاض العلماءفي ذكرها في كتب العقيدة.

ثالثاً: التسامح والحوار:

إن الحوار في معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدي إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك إحترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر، وبهذا المعنى فإن الحوار يعني التسامح واحترام حرية الآخرين، وإحترام الرأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به، وليس الهدف من الحوار مجرد فك الإشتباك بين الآراء المختلفة أو تحيّد كل طرف إزاء الطرف الآخر، وإنما هدفه الأكبر هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المُثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير، وذلك بالبحث عن القواسِم المشتركة التي تشكل الأساس المتين للتعاون البناء بين الأمم والشعوب.

والحوار بهذا المعنى يعد قيمة حضارية ينبغي الحرص عليها، والتمسك بها، وإشاعتها على جميع المستويات، وقال عليه الصلاة والسلام (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لخلقه)[27]، قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[سورة الحجرات: ١٣] والوعي بذلك كله أمر ضروري يجب أن يعلمه المسلمون عن طريق القدوة الحسنة وليس عن طريق التلقين، فالواقع المؤلم أنه كثيراً ما تحدث مشادات عنيفة تخرج عن نطاق الموضوعية، وربما يتطور الأمر إلى شجار وتماسك بالأيدي بين الأطراف المختلفة في الرأي، لأن كل جانب يريد فرض رأيه بشتى السبل، ولا يقتصر ذلك على

بن منصور بن عبد الله الدريس في كتاب (موقف الامامين البخاري ومسلم من اشتراط اللقيا والسماع في السند المعنعن بين المتعاصرين) ص/ ٤٨٩، مكتبة الرشد –الرياض، والشيخ عائض القرني في كتاب (الخلاف اسبابه وادابه)، غير موافق للمطبوع.

(٢٧) حديث ضعيف الجامع الصغير وزيادته للمؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة، ١/ ٤٣٢.

المستويات الدنيا في المجتمع، بل ينسحب على شريحة لا يستهان بها بين المشتغلين بالفكر والثقافة بصفة عامة، حيث يصل الأمر في أحيان كثيرة إلى حد الخروج من مناقشة الفكر بالفكر إلى الشتائم والتجريح الشخصي الذي لا صلة له بالنقاش الموضوعي، وإن دل هذا الخروج عن الموضوعية على شيءٍ فإنما يدل على ضحالةٍ في الفكر، وقصور في الحجة، وفقر في المنطق، وكفر بمبادئ التسامح وتقبل الآخر.

وهذا الخروج عن الموضوعية في الحوار على هذا النحو أمر لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله، وفضله على بقية الكائنات، وميزه بالعقل، وجعله خليفة في الأرض ليعمرها بالخير، ويملأها بالعلم، وينشر فيها الحق والعدل والأمن والسلام، ولا جدال في أن الحوار قد أصبح في عصرنا الحاضر أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة، وإذا كانت بعض الدول في القرن الجديد لا تزال تفضل شريعة الغاب بدلاً من اللجوء إلى الحوار، فإن على المجتمع الدولي أن يُصحح الأوضاع، ويعيد مثل هذه الدول الخارجة على القيم الإنسانية والحضارية إلى صوابها حتى تَنصاع إلى الأسلوب الحضاري في التعامل وهو الحوار، فليس هناك من سبيل إلى حل المشكلات، وتجنب النزاعات إلا من خلال الحوار وحل النزاعات بالاساليبالسلميه والبُعد عن العنف.

ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف- الذي أشارت إليه الآية الكريمة[٢٨]-بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان، على الرغم من الاختلافات فيما بينها- كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان. وذلك لما للأديان من تأثير عميق في النفوس. ويعد الإسلام أول دين يوجه هذه الدعوة واضحة وصريحة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ

(٢٨) قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

﴿ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[سورة آل عمران: ٦٤] ولم يكتف القرآن بمجرد الدعوة إلى الحوار بين الأديان، بل رسم المنهج الذي ينبغي إتباعه في مثل هذاالحواروذلك في قول الله تعالى ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[سورة العنكبوت: ٤٦] إنها دعوة الى التسامح وتقبل الآخر في يُسر وسماحة، أماالحكم على الآخرين الذين يشاركوننا في الإنسانية، فيجدر بنا أن نتركه لله جل شأنه، وخير لنا بدلاً من ذلك أن نجتهد في أن نسلك حِيالهم مسلكاً عادلاً متسامحاً طالما لم يسيئوا إلينا. إن الحرية تعني منح الإسلام الإنسان حُريةً في إعتناق أي دين يقتنع به ويلامس شِغاف فكره وقلبه، أومبدأ يميل في قرارة نفسه للأعتقاد به وتصديق أُسسه، فقد بعث الله تعالى نبيه محمدﷺ الى الناس كافةً بشيراً ونذيراً، وقد قامت دعوة الإسلام على أساس قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[سورة المزمل: ١٩] وأساس هذا الإختيار في دين الله تعالى يرجع الى الأُمور التالية:

أولاً: النص الصريح في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقره: ٢٥٦].

ثانياً: إن الدنيا دار إبتلاء[٢٩] ولا ابتلاء دون حرية واختيار.

ثالثاً: تنافي الإكراه مع طبيعة العقيدة الإسلامية نفسها من حيث كونها عنصراً

(٢٩) لما جاء في قول ابن مسعودرضي الله عنه: الدُّنْيَا كُلّهَا غموم فما كَانَ منْهَا من سرور فهو ربح، وقول الجنيد البغداديرضي الله عنه: لست اسْتَبْشِعُ ما يرد علي لأني قَدْ أصلت أصلاً وَهُوَ أَنَّ الدُّنْيَا دار هم وغم وبَلاء وفتنة وإن العَالِمَ كله شر. ينظر موارد الظمآن لدروس الزمان:
http //:www .al- eman .com
ص٢١٩، فصل وجوب التباعد عن اهل السوء.

نفسياً، ومن المحال تكوين أو تأسيس حقيقة نفسيه بالإكراه، إذ الاسلام لا يشرع من الأحكام مالا يستقيم مع طبائع الأشياء.

رابعا: إعتقاد الإسلام بأن معاذير المخالفين قد أبليت، لأنه أقام الحجة القاطعة والبالغة على الألوهية والوحدانية لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾، والذي نريد أن نصل اليه أن الإنسان له الحرية ابتداءً من الدخول في الاسلام أوعدم الدخول، ويتحمل هو هذه المسؤولية بعد ان قامت عليه الحجة، فإن دخل الانسان الاسلام بإختياره وجب عليه الالتزام بتكاليف الاسلام، فأذا ما اخل بمقصود من مقاصد الشرع ومن مقاصد الشرع التكليف بها وإخراج المكلف من دائرة الهوى وحفظ مصالح المكلف في العاجل والآجل[٣٠].

شرع الله لولي الامر آنذاك إنزال العقوبة عليه حفاظاً على سلامة المقصد وضمان عدم الفوضى في المجتمع. بالآيات الدالة على مظاهر ابداع الخلق الالهي في الكون والانسان[٣١]، ولهذا يقول القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى: ١٥].

ومن هنا فإنه ليس من التسامح في شيء الوقوف موقف المتفرج حيال الظلم والعدوان اللذين يتعرض لهما أي إنسان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو عقيدته مادام يعيش في كنف المسلمين ومن رعايا دولته.

المبحث الثاني:

صفات المتسامحين وأبرز موانع التسامح في المجتمع: ويشتمل على:

المطلب الاول: صفات المتسامحين في القرآن الكريم:

(٣٠) الموافقات في اصول الشريعة، لابراهيم بن موسى الشاطبي، ٢/ ٢٩، دار الكتب العلميه –بيروت، ط١.

(٣١) حقوق الانسان وحرياته الاساسيه، لعبد الوهاب الشيشاني، ص ٧٥.

إن الإسلام عندما انتشر في الأرض انتشر بدعوة التسامح، والعفو عن الآخرين، وتقبل الآخر، وبهذه الصفات التي سنتناولها استطاع المسلمون أن ينشروا تعاليم الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ومن أبز صفات المتسامحين:

أولاً: الإيمان بالله تعالى في أركانه وخصائصه وعناصره: فقد حرص القرآن الكريم على البناء العقدي والفكري للإنسان ليكون ضابط إيقاع الحركة فيه، ودافع الإنجاز لعمله سلباً وإيجاباً من ذات الإنسان، ودافعه الى هذا البناء الإيماني في الإنسان أكده القرآن الكريم في آياته الكريمة فقال تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[سورة الفرقان: ٦٣] دلت هذه الآية الكريمة على بيان العبودية الحقيقيه لله سبحانه وتعالى فقال الإمام الطبري (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولاساعين فيها بالفساد ومعاصي الله[٣٢].

وقال سيد قطب في الظلال (عِبادُ الرَّحْمنِ بصفاتهم المميزة، ومقوماتهم الخاصة وكأنما هم خلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال، بين البشرية الجاحدة المشاقة، والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية، وكأنما هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل، والعزاء المريح لحملة الهدى فيما لاقوه من جحود وصلادة وإعراض)[٣٣] هذا وإن شعور الإنسان بالعبودية لله تعالى يجعله إنساناً متسامحاً متواضعاً خافضاً جناحه للمؤمنين يُدرك حقيقة نفسه وضعفها أمام عظمة الله سبحانه وتعالى وجبروته، وإن النبي ﷺ بيّن لنا صفات المسلم الحقيقي التي تتسم بالتسامح فقال عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[٣٤]

(٣٢) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ١٩/ ٢٩٣.

(٣٣) تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، ٥/ ٢٥٧٧

(٣٤) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب

فقد جعل رسول الله ﷺ الهجرة هي أن تهجر أيها المسلم ما نهاك الله عنه من الكِبر، والتجبُر، والتعالي على الآخرين، وكان من سمات وصفات عباد الله تعالى أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هيّنة ليس فيها تكلف ولا تصنع، وليس فيها خيلاء، ولا تصعيرخد، ولا تخلع أو ترهل. فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية، وعما يستكن فيها من مشاعر، والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة. فيها وقار وسكينة، وفيها جد وقوة. وليس معنى قوله ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣] أنهم يمشون منكسي الرؤوس، متداعي الأركان، متهاوي البنيان كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح، اذ الإسلام لايرضيأن يمشي المسلم منكسراً مذلولاً وهذا رسول الله ﷺ كان إذا مشى تكفأ تكفيا، وكان أسرع الناس مشية، وأحسنها وأسكنها،

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ١/ ١١. برقم ١٠.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا؛ وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ»(٣٥)، وعَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا؛ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ(٣٦)، وقال مرة إذا تقلع -قلت والتقلع الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط من الصبب، وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة)(٣٧).

ثانياً: كاظمين الغيظ: إن المتسامحين في الإسلام ينطلقون من مبادئ وقيم مستمدةٌ من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فهم لا يردون على الفعل القبيح بمثله إنطلاقاً من القاعدة العامة التي تقول لكل فعل ردة فعل، إلا أن الإسلام نصح أتباعه وحثهم على أن يجابهوا الفعل القبيح بتسامحٍ يترفع فيه المسلم فوق

(٣٥) أخرجه الترمذي وإسناده ضعيف، ضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» برقم (٣٦٤٨).

(٣٦) أخرجه الترمذي وصححه الالباني في صحيح الترمذي برقم (٣٦٣٧).

(٣٧) تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/ ٢٥٧٧. بتصرف يسير

الجراح والألم مستثمراً هذا الموقف في دعوة جادة الى الإسلام وقيَّمه كما قال تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٦] دلت هذه الآية المباركة على بيان أجر الصابرين ومنزلتهم عند الله سبحانه وتعالى ذكر الطبري في تفسيره (قوله تعالى ذكره للمؤمنين: وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة، ولئن صبرتم عن عقوبته، واحتسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتم أمره إليه، حتى يكون هو المتولي عقوبته (لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر إحتساباً، وابتغاء ثواب الله، لأن الله يعوّضه مِنَ الذي أراد أن يناله بإنتقامه من ظالمه على ظلمه إياه من لذّة الإنتصار، وهو من قوله (لَهُوَ) كناية عن الصبر، وحسن ذلك، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله: (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ) عليه[٣٨]، فَشَرَعَ الْعَدْلَ وَهُوَ الْقَصَاصُ، وَنَدَبَ إِلَى الْفَضْلِ وَهُوَ الْعَفْوُ[٣٩]، فكان للمسلم أن يرد العقوبة بمثلها لمن اعتدى عليه ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يترفع المسلمون عن الذين يعتدون عليهم بقوله (ولئن صبرتم) فجعل جزاءهم عنده هو حكمهم وهو أعدل الحاكمين، ولذلك قال رسول اللهﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهﷺ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[٤٠]، ولما كان كظم الغيظ من أعظم صفات المتسامحين كان الجزاء هو الإعداد للجنة ونعيمها هذه الجنة التي عرضها السموات والارض أعدها الله للمتسامحيين المتقين إذ قال الله سبحانه ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(٣٨) جامع البيان في تأويل القران، للطبري، ١٧/ ٣٢٢.

(٣٩) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢١٢.

(٤٠) صحيح الامام مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب استحباب العفو والتواضع، ٤/ ٢٠٠١، برقم ٢٥٨٨.

[سوره آل عمران: ١٣٣ -١٣٤] ذكر الطبري أي إلى (مغفرة من ربكم) يعني: إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها»[٤١]، وقال تعالى أيظاً: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة الشورى: ٤٠] أي المعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ} بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء {فَأَجْرُهُ عَلَى الله} عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظيم[٤٢].

ثالثاً: العفو عند المقدرة على الإنتقام: إن القرآن الكريم حثَّ المسلمين على إغتنام الفرص المتاحه له لإنجاز وتطبيق أوامر الله تعالى على وجه مشرف، فأمر الله سبحانه بتقبل الآخر من بني البشر رجاء أن يسمع كلمة الله تعالى قال تعالى ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سوره التوبة: ٦] أي اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم إلا من طلب منكم الأمان ليعلم ما أنزل الله وأمر به من دعوة الإسلام، فإن بعض المشركين لم تبلغهم الدعوة بلاغاً مقنعاً ولم يسمعوا شيئاً من القرآن، أو لم يسمعوا منه ما تقوم به الحجة عليهم، فأعرضوا وعادوا الداعي وقاتلوه، لأنه جاء بتفنيد ما هم عليه من الشرك، وتسفيه ما كان عليه آباؤهم منه.

رابعاً: يُحسنون لمن أساء اليهم: إن من صفات المتسامحين أنهم يجعلون مبدأ الإحسان عنواناً لهم، إذ الإحسان بمفهومه الإسلامي مرتبط بمراقبة الله سبحانه وتعالى في السر والعلن، فالمسلم في حياته وأفعاله يشعر بمراقبة الله له وأن الله مطّلع عليه ومراقب أحواله، فمن وصل في عقيدته الى درجة الإحسان -التي ينبغي أن يكون المسلم عليها -والتي هي كما عبر عنها رسول الله ﷺ بقوله عندما سأل عن الاحسان قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٤٣] فأنه لايستطيع أن

(٤١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ٧/ ٢٠٧.

(٤٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ٣/ ٢٩٨.

(٤٣) صحيح البخاري، كتاب الايمان، بَابُ

يترك لنفسه العنان في الثأر والإنتقام بل يستبدلها بالخير والإحسان حتى لأعدائه قال تعالى﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣ -١٣٤] أي: الجارعين الغيظ عند إمتلاء نفوسهم منه. يقال منه: "كظم فلان غيظه"، إذا تجرَّعه، فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرةٌ على إمضائه، بإستمكانها ممن غاظها، وإنتصارها ممن ظلمها[٤٤]، وإن هذه الاية الكريمه بينت بحقٍ مدى التسامح حيث بلغ أسمى صوره وأرقاها وهي أن يعفو المسلم عمن أساء اليه، ولايوجد نموذجاً في الكون أرقى من عفو وتسامح نبينا محمدﷺ مع قبيلة ثقيف التي عندما استشعرت أن قوة المسلمين أصبحت هي القوة الأولى في الجزيرة العربية، وبخاصة بعد فرار الجيوش الرومانية منها في تبوك، ففكَّرت أن تأتي المدينة لتبايع على الإسلام وكان واضحًا من كلامهم وترتيبهم أنهم ما جاءوا حُبًّا للإسلام، ولا إقتناعًا به، ولكن لرؤيتهم أنهم لا طاقة لهم بحرب المسلمين، ومن ثَمَّ كوَّنوا وفدًا يُحاور ويفاوض رسول الله، ويصل معه إلى أفضل ما يمكن أن يصلوا إليه، وجعلوا على رأس هذا الوفد عبد ياليل بن عمرو الزعيم القديم الذي سَخِرَ في يومٍ ما من رسول الله سخريةً شديدة، ولكن دارت الأيام دورتها وجاء زعيم ثقيف منكسرًا أمام الرسول العظيم الذي مُكِّن له في الأرض، وأصبح في مركز القوة إستقبل رسول الله وفد ثقيف خير استقبال، ولم يُذَكِّرْهُمْ بماضيهم أبدًا، ولم يقل لهم شيئًا عن سخريتهم منه يوم ذهب إليهم طالباً نصرتهم، ولم يقل: هذه بتلك أو: اليومَ باليومِ الذي سخرتم فيه مني، بل قابلهم بالترحيب وبالبسمة وبالكرم وبالضيافة وبالهديةبل جلس معهم يستمع لمفاوضاتهم ومقترحاتهم التي كانت في غاية السفاهة، ومع ذلك لم ينفعل عليهم،

سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، ١/ ١٩، برقم ٥٠.

(٤٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٧/ ٢١٤.

أو يغضب منهم، بل ناقشهم في هدوء، وكما جاء في الحديث الصحيح: (مَاانْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ)(٤٥) وتكلّم معهم في رَويَّة، فكان المثل الأعلى بالصفح والإحسان لذلك انَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (يَاعَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)(٤٦)، وقال الله سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه محمد ﷺ قال تعالى ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[سوره القصص: ٧٧]، ويوم فَتَحَ مكة رسول الله ﷺ دخلها نهاراً بعد أن خرج منها ليلاً، وكسر الأصنام بيده، ووقف أهل مكة ينتظرون العقاب بماذا قابلهم رسول الله قابلهم بالتسامح (قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ)(٤٧).

خامساً: يتقبل الآخر من غير المسلمين: إن التباين بين المسلمين وأهل الكتاب عقدياً وفكرياً لا يلغي قناعة المسلمين بأن للإنسان الحرية الكاملة في إختيار ما يشاء من عقيدة وقيم وإتجاهات قال تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[سوره البقرة: ٢٥٦].

يقول سيد قطب في تفسيره: (إن قضية العقيدة -كما جاء بها هذا الدين -قضية اقتناع بعد البيان والإدراك وليست قضية إكراه وغصب وإجبار، ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته. يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، كما يخاطب الفطرة السليمة. يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه من غير قهر حتى

(٤٥) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالِانْتِقَامِ لِحُرُمَاتِ اللَّهِ ٨/ ١٦٠، برقم ٦٧٨٦.

(٤٦) صحيح الامام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٤/ ٢٠٠٣، برقم٢٥٩٣.

(٤٧) السنن الكبرى للبيهقي، ٩/ ١٩٩، كتاب إجماع ابواب السير، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى، برقم ١٨٢٧٦.

بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدها الجاء إلى الإذعان، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك، وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة، فهو من باب أولى لا يواجه بالقوة والإكراه ليعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع)[٤٨]، فالإسلام لم يجبر أحد على الدخول فيه بل خيرهم وبين لهم طريق الحق والهدى حيث قال تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [سوره الانسان: ٣]، وقال تعالى مبيّناً حرية الانسان في اختيار دينه قال تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[سوره الكافرون: ٦] أي لكم شرككم أو كفركم، ولي ديني وهو التوحيد والإخلاص أو الإسلام، فدينكم الذي هو الإشراك، لكم لا يتجاوزكم إليّ، وديني الذي هو التوحيد مقصور علي لا يتجاوزني، فيحصل لكم[٤٩]. وإنطلاقًا من منطلق نظرة الإسلام إلى أن العقيدة لا يمكن الإكراه عليها، والجبر في إعتناقها بل لا بد فيها من الإقتناع والرضا، وأن الإختلاف في الدين لا يمنع البر والصلة؛ فقد دعا الإسلام إلى المجادلة بالحسنى وفي حدود الأدب والحجة والإقناع، فقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ أن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة التي تلين فهم عقولهم الى إن الدين الإسلامي هو الحق قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[سورة النحل: ١٢٥]، وبهذه الآية الكريمة يدرك المسلمون أن القرآن الكريم يعلمهم بذلك على مبدأ التسامح ووسعة المخالفين لهم والإحسان إليهم، وأن الاسلام ينهاهم عن أن يحملوا في قلوبهم ودعوتهم إي كراهية للمخالفين لهم أو الحقد عليهم، أو أن يتسببوا لهم بأي أذى أو إساءة بسبب مخالفتهم لهم في الدين والمعتقد.

ومن هنا أرى أن الإسلام يصون حرية الاعتقاد، ويرفض أن يرغم أو يجبر

(٤٨) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٩١.

(٤٩) تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٠/ ٤٤٣.

المسلمون أحدًا على ترك دينه واعتناق الإسلام. وفي ذلك يقول عزوجل لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

المطلب الثاني: موانع التسامح:

إن المجتمع، يصلح أن يكون مجالاً للتسامح، وأن كل ما يحقق المنفعة للمجتمع الإسلامي، جدير بأن يكون موضوعاً للتسامح والحوار، فلا يقتصر التسامح في الحوار على موضوع دون آخر، ما دامت المنافع والمصالح هي المحور الرئيسي في مجاله الحيويّ، فهو يتناول الموضوعات جميعاً، ويشمل كلَّ القضايا ذات الصلة بحياة المجتمع في حاضره ومستقبله، ويغطّي كل الموضوعات التي ترتبط إرتباطاً وثيقاً بجميع نواحي الحياة سياسياً واقتصادياً، ثقافياً وعلمياً، وفكرياً، ويُلبي الحاجات الضرورية التي تفرضها طبيعة العلاقات الثنائية والمصالح المتبادلة، وعندما كان موضوع التسامح هو الابرز في نشر الدين الاسلامي، كانت هناك بعض الموانع التي تحول بينه وبين الانسان المسلم في حياته وتعامله مع الغير، وأن من أبرز الموانع والعوارض التي تواجه الانسان مايلي:

اولاً: الكِبر وإعجاب المرء بنفسه: إن هذا المرض الخطير الذي يسيطر على بعض المسلمين اليوم لهو داءٌ عضال يعاني منه المجتمع في زماننا هذا، ولعل الكِبر من اخطر الامراض التي تحول دون التسامح والعفو ولذلك وصفه رسول الله وصفاً بشعاً في الحديث عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟. كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟. كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»(٥٠) حيث جعله الله سبحانه وتعالى في نار جهنم، أن الاسلام لم يتخذ الكِبر طريقاً للدعوة الصادقة الهادفة الى نشر دين الله سبحانه وتعالى، والتي جاءنا بها نبينا محمد ﷺ إنما اتخذ مبدأ التواضع مع اصحابه ومع اعدائه ولذلك وصفه الله تعالى بالرحمة المهداة

(٥٠) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكِبر، ٨/ ٢٠، برقم ٦٠٧١.

وقال عنه في كتابه العزيز ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وكما قال رسول الله ﷺ (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الواحد، إذا اشتكى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالحمَّى والسَّهر)[٥١]، وكان نبي الله لقمان يوصي ابنه بالتواضع وعدم التكبر قال تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[سورة لقمان: ١٨] أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبُّراً عليهم، وتعاظماً[٥٢]. ولابد أن يكون هذا حال المؤمنين الذي يدعو للتألف والتسامح وهو عكس الكبر الذي هو من ابرز موانع التسامح.

ثانياً: المصالح الشخصية: إن الإنسان إذا قدّم مصالحه الشخصية الخاصة على المصالح العامة المتعلقة بالمجتمع والامة إنما يكون في عمله هذا قد تخلى عن كثير من القيم والمبادئ التي دعا إليها الدين الحنيف، وقد تناولت كثير من آيات القرآن الكريم قضية المصالح الخاصة وأعتبرها غير مقبوله، فما حُرمت المحرمات من أمثال السرقة والاحتكار والربا وكثير من أنواع البيوع ورغم المصالح الخاصة التي فيها إلا أنها حُرمت، وان الاسلام يدعوا الى الإيثار بكل شيء من اجل التسامح والمحبة والأخوة بين المسلمين عامه لذلك قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحشر: ٩].

لقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة مايصف الأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل المهاجرين (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) يقول: ويعطون المهاجرين أموالهم إيثارًا لهم بها على أنفسهم، (وَلَوْ

(٥١) صحيح البخاري، كتاب البر والصلة والاداب، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، ٤/ ١٩٩٩، برقم ٢٥٨٦.

(٥٢) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ١/ ٩٤٨.

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) يقول: ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم، والخصاصة: مصدر، وهي أيضًا اسم، وهو كلّ ما تخلّلته ببصرك كالكوة والفرجة في الحائط، تجمع خَصَاصَات وخِصَاص[٥٣]، وذكر صاحب تفسير الظلال (والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا. وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرا. وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديما وحديثا)[٥٤]، وأن ترك المصالح الشخصية من اجل المصلحة العامة لهو دأب أصحاب رسول الله ﷺ عندما هاجر صحابته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة كان الإيثار متوجاً على رؤوس وصدور الأنصار الذين نصروا رسول الله بإستقبال المهاجرين من الصحابة الكرام، (لقد مدح الله تعالى الأنصار، وأبان فضلهم وشرفهم، وعدم حسدهم، وإيثارهم المهاجرين مع الحاجة، ورضاهم بإعطاء الفيء لهم، والذين سكنوا المدينة دار الهجرة، وتمكّن الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ في قلوبهم، قبل هجرة المهاجرين، وهم الأنصار، يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسداً أو غيظاً للمهاجرين مما أوتي المهاجرون دونهم من الفيء، بل طابت أنفسهم بذلك، مع أنهم كانوا في دور الأنصار، وقدّموا المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا، ولو كان بهم حاجة وفقر، ويلاحظ أن كل ما يجد الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته، فهو حاجة. والإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، والرغبة في الحظوظ الدينية)[٥٥]. وخلاصة القول فإن ترك المصالح الشخصية لهو تجسيداً لمبدأ التسامح إذ تعد المصلحة الشخصية مانعاً من موانع التسامح والعفو عن الآخرين.

ثالثاً: إذا كان مايقوم به الفرد فيه مخالفة صريحة للإسلام: وقد أوجب فيه القرآن الكريم حداً فلا ينبغي التسامح معه على الاطلاق قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ

(٥٣) تفسير الطبري، ٢٣/ ٢٨٤.

(٥٤) تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، ٦/ ٣٥٢٦.

(٥٥) ينظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٨/ ٨٣ – ٨٤، بتصرف يسير.

ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٧] أما «حدود الله» فشروطه. وقال بعضهم: «حدود الله» معاصيه[٥٦]، وهنا التحذير بعدم الإقتراب والتطاول على حد من حدود الله سبحانه وتعالى إذ لا تسامح هنا في حدود الله (والنهي هنا عن القرب، لتكون هناك منطقة آمان، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، والإنسان لا يملك نفسه في كل وقت فأحرى به ألا يعرض إرادته للامتحان بالقرب من المحظورات المشتهاة، اعتماداً على أنه يمنع نفسه حين يريد، ولأن المجال هنا مجال حدود للملاذ والشهوات كان الأمر: «فَلا تَقْرَبُوها»، والمقصود هو المواقعة لا القرب، ولكن هذا التحذير على هذا النحو له إيحاؤه في التحرج والتقوى)[٥٧] والتسامح والتستر على من تعدى حداً من حدود الله، كالسرقة، والزنا، وغير ذلك مشروع ما لم يصل الأمر إلى السلطان، فإذا وصل إليه فلا يكون فيذلك تسامح أو عفو أو شفاعة بل لا بد للسلطان من إقامة هذا الحد من حدود الله كما قال النبيﷺ: (تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب)[٥٨].

إن الحدود جعلها الله سبحانه وتعالى زاجره عن الوقوع الذنب والجريمة، مثل الحد في الزنا، والحد في السرقة، والحد في شرب الخمر، فهذه أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعلها تأديباً للعباد، ومنعهم وغيرهم أن يقعوا في هذه المعصية، فإذا كان بين انسان وآخر شيء فله أن يعفوا عنه ويتسامح معه كإنسان سرق من إنسان شيئاً ثم عفا عنه بشرط أن لا يصل هذا الحد الى الحاكم فأذا وصل الحد الى الحاكم فلا يجوز لأحد أن يشفع في ذلك، لان النبيﷺ لعن الشافع والمشفع فقال (اشْفَعُوا مَا لَمْ يَصِلْ إِلَى الْوَالِي فَإِذَا وَصَلَ الْوَالِيَ فَعَفَا فَلَا عَفَا اللهُ عَنْهُ)[٥٩].

(٥٦) تفسير الطبري ٣/ ٥٤٧.

(٥٧) تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ١٧٦.

(٥٨) سنن النسائي، كتاب قطع السارق، باب مَا يَكُونُ حِرْزًا وَمَا لَا يَكُونُ، ٨/ ٧٠، برقم ٤٨٨٥.

(٥٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الحدود، باب (قَوْلُهُ بَابُ كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِي

رابعاً: كما لا يجوز التسامح أبداً مع من يحملون معاول الهدم في عقائد المسلمين: أو يثيرون الشبهات أو يسيئون للذات الإلهية أو للرسول علية الصلاة والسلام في القول أو الفعل، وكان بإجماع أهل العلم: أن من تعدى أو سبّ رسول اللهﷺ أو استخف به، أو استهزأ به، فهو كافر ظاهراً وباطناً. فمن تعدى على النبيﷺ، أو تعدى على آل بيته رضوان الله عليهم أجمعين فهذا المقصود منه حقيقةً هو الطعن في رسول اللهﷺ، أو كمن يسب النبيﷺ صراحةً، أو يشير إلى ذلك ويلمح، فكل ذلك كفر يخرج من الملة، ولا يحتاج فيه إلى إقامة الحجة في هذا؛ لأنه أمر معلوم من الدين بالضرورة لأن السب والإستهزاءوالإستخفاف بعرض النبيﷺ ليس فيه إقامة حجة ولا إزالة شبهة، بل الحكم أنه كافر كفراً يخرجه من الملة، ولو مات على ذلك فهو خالدٌ في نار جهنم قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[سورة الانعام: ١٠٨] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ وللمؤمنين به: ولا تسبُّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فيسبَّ المشركون اللهَ جهلاً منهم بربهم، واعتداءً بغير علم[٦٠]، وذلك بسبب جهلهم وقلة معرفتهم، وهذا مانع من موانع التسامح مع من يحمل معول الهدم في عقائد المسلمين، وهكذا بينا بعض الامور التي تحول بين المسلم والتسامح.

الخاتمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد نبي الهدى والرحمة وعلى آله وصحبه الميامين: وبعد:

فقد آنس روحي كتابُ الله تعالى العزيز طوال مُدة إعداد هذا البحث فما كللت وما ونيت، وكانت آيات القرآن الكريم تُسيطر على كياني في هدى ونور كقطر الندى على الروض في يومٍ حار، فقد قضيت امتع الاوقات مع آياته

الحَدِّ إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ)، ١٢/ ٨٨.

(٦٠) تفسير الطبري، ١٢/ ٣٣.

المنيرة، التيكانت ملاذي في أوقاتي الشدةُ والحزنُ ألجأ إلى رحابها الطاهرة أستمطر منها الأنس بالله الكريم. وقد انتهيت بفضل الله تعالى من إعداد هذا البحث الطيب المبارك، وقد جاءت في مقدمةٍ وتمهيد و مباحث وخاتمة، بيت فيها أهم ما توصلت اليه من خلال هذا البحث، وبعد هذه المسيرة المباركة في هذا البحث وبعدأن ألقيت مزيداً من الضوء على سماحة الإسلام ويُسره وتكريم الله للإنسان، ومن خلال هذه الدراسة أستطيع أن ألخص نتائج هذا البحث ثم أُدلي باقتراحاتي وتوصياتي:

أولاً: نتائج البحث:

١. إن القرآن الكريم أهتم بالقيم الإنسانية الأصيلة على اعتبار أنها تجمع علاقة الإنسان بأخيه الانسان أيا كان اتجاهه الفكري والعقدي.

٢. إن التسامح كقيمة اجتماعية تتعلق بحقوق الإنسان في مواثيق الأمم المتحدة ومبادئها الإنسانية هي في الإسلام قيمة دينية تنبثق من تكريم الله للإنسان.

٣. حرص الإسلام على إشاعة مبدأ المساواة بين الناس إنطلاقاً من تساويهم في الخِلقة والحقوق والواجبات، هذا التسامح انبثق من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وتوصياته عليه الصلاة والسلام لصحابته وسائر أمته في السلم والحرب وفي كافة مواقف الحياة، فقد قال ﷺ: «الإيمان الصبر والسماحة»[٦١].

٤. إن الاسلام يُجبر بالتسامح والرفق واللين مالا ينجبر بأمهات الفضائل من الأعمال.

إنما انتشر الاسلام بين الناس بالقدوة الحسنة والتسامح الكبير عن الأخطاء والترفع عن الزلات قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[سورة آل عمران: ١٣٤].

إن الأمر الإلهي كان يُصَّدر دائماً في القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ بالدعوة الصادقة إلى التسامح والعفو

(٦١) شعب الإيمان للبيهقي برقم ٩٧٠٩.

وتقبل الآخر أياً كان خطأه قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[سورة فصلت: ٣٤].

٥. إن التسامح في الإسلام يقتضي أن ينتصر الإنسان على نفسه وهواه، وأن يسخرهما لخدمة الأهداف النبيلة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن تراث هذه الأمة المجيدة.

٦. ظهرت عظمة الإسلام في إشاعة مبدأ التسامح والعفو في أشد اللحظات ضيقاً وانتقاماً، كالحرب إذ أوصى رسول الله ﷺ ألا يقتل أسيرٌ، ولا يجهز على جريح، ولا تقتل إمرأة ولا طفل ولا حيوان، ولا يقلع الشجر والنبات لغير مصلحة، بل أمر بإكرام الأسير فقدمه الصحابة على أنفسهم في المطعم والمأكل والملبس.

٧. لقد حارب الإسلام التطرف والغلو والتعصب والتعنت وأعتبر الإرهاب سواء كان فردياً أوجماعياً منافياً لمبادئه السامية في التسامح والعفو.

٨. كانت سيرة الرسول ﷺ تطبيقاً عملياً وانموذجاً رائعاً وسلوكاً فذاً للتسامح، إذ حياته كلها عليه الصلاة والسلام هي دعوة للتسامح والعفو وتقبل الآخر.

٩. هذا هو الإسلام وهذا هو التسامح الذي بنى عليه الإسلام كل فرائضه وأحكامه وتنظيماته في بناء مجتمع فاضل أصيل تحكمه الضوابط الخُلقية قبل أن تحكمه النظم والقوانين والدساتير.

المصادر:

((استغنينا عن ذكرها لكون السيد الباحث قد فصّل هوية كل مصدر في الموضع الذي اعتمده في متن البحث ورأينا أن اعادة ذكرها في مسرد تكرار لا داعي له)).

(المجلة)